نصوص أميمة أحمد العزيز ما بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا والتلخيص

د. جمال الجزيري

سأتناول في هذه المقالة بعض النصوص التي نشرتها الكاتبة السورية أميمة أحمد العزيز على مجموعة سنا الومضة القصصية في مارس 2016 بعنوان جامع لها "نصوص عن الهجرة غير الشرعية[5]" ونشرت في كتاب "نداء حياة" الذي يجمع الومضات القصصية المنشورة على سنا الومضة في فبراير ومارس وبداية أبريل 2016. وسأتناول النصوص من زاوية كونها ومضات قصصية أم لا.

[5] أميمة أحمد العزيز. "5 ومضات قصصية: نصوص عن الهجرة غير الشرعية". نداء حياة: ومضات قصصية. إعداد: د. جمال الجزيري. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، ابريل 2016. ص 50-51. رابط تحميل الكتاب: http://www.mediafire.com/download/kpg0cgpq67pgff6/%D8%A3%D8%B9%D8%B6%D8%A7%D8%A1_%D9%85%D8%AC%D9%85%D9%88%D8%B9%D8%A9_%D8%B3%D9%86%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%85%D8%B6%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B5%D8%B5%D9%8A%D8%A9%D8%8C_%D9%86%D8%AF%D8%A7%D8%A1%D9%8F_%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9%D9%8D%D8%8C_%D9%88%D9%85%D8%B6%D8%A7%D8%AA_%D9%82%D8%B5%D8%B5%D9%8A%D8%A9%D8%8C_%D8%B71%D8%8C_%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%84_2016.pdf

هروب

رفع عنهم أنقاض بيته، فر بهم نحو الأمان، جاعوا، أركبهم البحر، فالتهمهم.

هذا النص بطبيعته عبارة عن تلخيص قصة قصيرة، وليس ومضة قصصية أو حتى قصة قصيرة جدا. فتكتفي الراوية بالحد الأدنى من السرد، وذلك من خلال الاكتفاء بالتفاصيل الحدثية فقط، ولكن المدى الزمني للنص يُخرجه من نطاق الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا، فالومضة القصصية تكز على لحظة زمنية واحدة، كأن يتم هنا تسليط الضوء فقط على عملية رفع الأنقاض أو على الفرار بالأطفال نحو الأمان أو على لحظة جوعهم بعد الفرار أو على الصراع داخل الأب عند يركبهم في البحر أو على لحظة مواجهة الموت عند التهام البحر لهم. والقصة القصيرة جدا تركز على مثل هذه اللحظات أيضا ولكن مع مزيد من التفاصيل قد تصف عدة لحظات مع بعضها البعض قد يصل مجموعها إلى دقائق.

ولذلك أرى أن النص بشكله الحالي عبارة عن قصة قصيرة تقفز في الزمان لتقدم لنا عدة لقطات متتابعة في الزمن وتوجد فواصل زمنية بينها. وكل لقطة من لقطات النص صالحة لأن تتحول إلى ومضة قصصية بحيث يتم إنتاج 5 ومضات قصصية من هذا النص إذا تم إيفاء كل لقطة أو لحظة حقها من الضوء الكاشف الذي يبرزها.

وحتى لو تكلمنا عن النص بوصفه قصة قصيرة، فالنص بشكله الحالي عبارة عن مادة خام أم مخطَّطٍ أو ملحوظة للتذكير بالملامح العامة للحدث، تمهيدا لبلورتها فنيا في وقت لاحق.

القصة القصيرة أو أي نص سردي فني لا بد أن يضعنا في قلب الحدث وينظر له نظرة خاصة تجعله قابلا للإيحاء والدلالة المتجددة التي تنبع من العلاقات بين التفاصيل ومن صب هذه التفاصيل في رؤية فنية تتجاوز الجانب الخبري، فالنص أعلاه عبارة عن خبر عن التهام البحر لمجموعة من المهاجرين أو النازحين، وهو حدث يتكرر باستمرار في

السنوات الأخيرة في بلداننا العربية. ولذلك، فالحدث ليست له قيمة فنية في حد ذاتها، وإنما تنبع قيمته الفنية من قدرة الكاتب أو الكاتبة على صياغته فنيا بطريقة تجعلنا نرى فيه شيئا جديدا، شيئا إنسانيا وتصويرا سرديا يبرز لنا الحدث والشخصية الرؤية والدلالة والحبكة وما إلى ذلك من عناصر للنص تتشابك مع بعضها البعض.

قدر

أرهقتهم الحرب، ركبوا البحر أملا بنجاة، احتضنتهم أمواجه.

النص بشكله الحالي يتأرجح ما بين القصة القصيرة جدا والقصة القصيرة، لأن هناك فاصل زمني بين إرهاق الحرب لهذه الشخصيات التي يتم تقديمها بضمير الغائب الجمع واحتضان أمواج البحر لهم، أي لحظة غرقهم. لو كانت الراوية جاءت بسبب ركوبهم البحر في ثنايا الجملتين الأخيرتين، كان من الممكن أن يتحول النص إلى ومضة قصصية: أملا بالنجاة من الحرب، ركبوا البحر فأغرقتهم

أمواجه. وأركز هنا على الفعل "أغرق" لأن الاحتضان له دلالات إيجابية قد تدل على أن أمواج البحر كانت لهم حصن الأمان وهي تنقل المركب الذي يركبونه.

كما أن هذا النص مثل باقي النصوص بشكل أو بآخر يقع في فخ التعميم الذي يتناقض مع التخصيص السردي، أي كون النص السردي يقدم لنا حالة خاصة تجسد لنا موقفا أو أكثر لشخصية في وضع معين وسياق خاص. ويرجع ذلك إلى استعمال ضمير الغائب الجمع الذي لا يحمل رؤية فردية ولا يتعامل مع الشخصية على أنها فرد نراه في سياق خاص يمكِّننا من أن نعايش ملابسات موقفه أو وضعه ونتعاطف معه أو نحس بالقاسم الإنساني المشترك بيننا وبينه، فالشخصيات هنا يتم تقديمها على أنها كتلة بشرية واحدة لا تمايز بينها، الأمر الذي يجعلنا ننظر إليهم على أنهم فكرة مجردة أو رمز مباشر لضحايا الحرب، أي نتعامل معهم على أنهم مجرد أرقام تضاف إلى الضحايا السابقين، والنص السردي بوجه عام لا يتعامل مع الشخصيات الأرقام، وإنما

يتعامل مع حالات فردية تكون في موقف يتجاوز فرديتها من خلال صياغته الفنية، الأمر الذي يجعلنا نحس بالشخصية ونحس بأنها تنتمي إلينا وننتمي إليها حتى لو لم تتقاطع التفاصيل الظاهرية لحياتنا.

النص السردي المكتوب بطريقة فنية يقدم لنا حالة وعي، أي موقف محدد يحمل دلالة إنسانية ونظرة خاصة للحياة ولهذا الموقف بالذات، كالإحساس بالضياع أو التشرد مثلا من جراء الحرب، وكيف يجسّد الموقف هذا الإحساس بالضياع أو التشرد، بحيث يجد كل من أحس بهذا الإحساس من قبل صدى لتجربته في النص. وحتى لو كان القارئ لم يمر بالموقف من قبل، فإنه يمكنه من خلال النص أن يعيش تجربة كاملة مهما كان حجم النص صغيرا ويجد هذا الإحساس بالضياع صدى في نفسه، الأمر الذي يجعله يستمتع بالنص لقدرة الكاتب على تصوير الحدث بطريقة فريدة تميزه عن تصوير الآخرين له، ويستمتع بالحالة

الإنسانية الواردة في النص استمتاعا فنيا، ويتعاطف مع الشخصية، الخ.

تجار بشر

منحوه حصاد العمر، كدسهم في قارب، أسلمهم لموج البحر، فابتلعتهم.

هذا النص عبارة عن قصة قصيرة جدا، أو بالأحرى المخطط العام لقصة قصيرة، حيث أنها تركز على التباين بين الباحثين عن النجاة والمتاجر بأقواتهم المتمثل في صاحب المركب أو الوكيل عن صاحبها، الذي يحشرهم في وضع غير إنساني لا يتماشى مع طبيعة المركب وحمولته وبالتالي تكون النتيجة المنطقية غرقهم في البحر.

ونجد أنفسنا هنا أمام نفس مشكلة التعميم، من هم أولئك المجموعون في فاعل الفعل "منحوه"؟ وتعبير "حصاد العمر" يدل على أنه كانوا يدَّخرون المال طوال عمرهم، حتى لو كان مالا قليلا، وبإمكانهم أن يفتحون مشروعا خاصا بهم بهذه الأموال، فمن الواضح هنا أننا أمام حالتين من

الطمع أو الجشع: حالة هذه الشخصيات المجموعة في ضمير واحد وحالة صاحب المركب أو وكيله، وحتى لو كانت هناك دلالة فنية في تغلب جشع الفرد على جشع المجموعة، فلم يتم تصوير ذلك أو إبرازه في النص.

ومن الوضح هنا أن هذه الكتلة البشرية لا تأتي في صيغة الفاعل إلا مرة واحدة، وتأتي في صيغة المفعول به ثلاث مرات، وهي صيغة تدل بوجه عام وهنا أيضا في النص على سلبية هؤلاء الناس، ولا أقول الأفراد، وتخلصهم من فرديتهم بمجرد أن قاموا بفعل المنح، وكأنهم يسلمون أنفسهم للموت طواعية، ولا أدري لماذا تؤنث الكاتبة الموج هنا؟

مصير

نجا من تحت الأنقاض، ركب البحر هربا، فاحتضن جسده.

هذا النص هو بعينه نص "هروب" بصياغة أخرى، والفرق الوحيد أن الشخصية في "هروب" شخصية جماعية

في حين أنها شخصية فردية هنا. وفي الحالتين، نحن أمام تلخيص لحدث ولسنا أمام حدث متجسد أماما أعيننا بتفاصيله، حتى لو كانت هذه التفاصيل في حدها الأدنى، فلا توجد هنا لمسة فردية أو فنية للكاتبة يمكنها أن تصب هذا التلخيص في رؤية فنية سردية.

جوع وحرب

رأى طفلته تأكل كسرة يابسة، اختنق، أسلمهم لموج البحر، أخذهم فما عاد الجوع يلسعهم.

هذا النص يتكون من نصين: النص الأول يمتد من بداية النص حتى الفعل "اختنق" وهو لقطة رائعة تحتاج إلى إبراز أكثر. والنص الثاني يمتد من "أسلمهم" إلى "أخذهم"، أما باقي النص فهو زائد لأنه توضيح من الراوية لا حاجة إليه، وكان من الأولى أن يتم إدراج فكرة لسع الجوع لهم في ثنايا الجملة السابقة.

وعندما نتأمل النص ككل، نجد أن النصين الفرعيين اللذين تكلمتُ عنهما في الفقرة السابقة لا يترابطان على

مستوى استخدام الضمائر: ففي النص الفرعي الأول، الطفلة هي التي تأكل كشرة يابسة، أما في النص الفرعي الثاني، فهناك شخصيات جماعية يبدو أنها تمثل مجموع أطفال هذا الرجل. أي أن النص الكلي بدأ بشخصية وانتهى بشخصيات أخرى، وهذا لا يصح في نص قصير كهذا، فلا بد أن تكون عناصر النص مترابطة ولا بد أن تكون إحالة الضمائر واضحة، بدلا من أن يجعلنا النص نلجأ إلى التخمين الذي لا توجد قرينة سياقية نصية لترجيحه.

وعلى مستوى الفكرة المتولدة من النص، "الكسرة اليابسة" في حد ذاتها ليست بها مشكلة، فقد يأكلها أي شخص، وهناك الكثير من المخبوزات التي يتم تجفيفها أو تيبيسها، للاحتفاظ بها إلى وقت لاحق أو لضرورة صحية أو للسفر أو للعمل في الصحراء أو للاعتكاف، الخ. كما أن قيام الأب بإسلام أو تسليم "أطفاله" للبحر يمكن النظر إليه على أنه رغبة متنكرة في الموت أو الانتحار أو القتل أو الوأد، وكأنه يريد أن يتخلص منهم، كما أن تسليم الكل الذين لا

يظهرون في بداية النص يوحي برغبة الأب في التخلص من الأبناء ومن كل ما يربطه في حياته الحالية، خاصة وأنه لا يركب معهم البحر. وحتى لو سلمنا بضرورة ركوبهم في المركب، من الواضح أنهم أطفال ولن تكون لهم حياة بعيدا عنه، ولذلك يكون ركوبهم البحر نوع من تنصل الأب من مسئوليته، الأمر الذي يجعلنا نجد في النص شيئا مناقضا لما تسعى الكاتبة للتعبير عنه.